

أضواء البيان

. @ 438 @

والعرب تسمى شدة الخلق حبكاً ، ومنه قيل للفرس الشديد الخلق : محبوب . .
ومنه قول امرئ القيس . ومنه قول امرئ القيس . % (قد غدا يحملني في أنفه % لاحق
الأطلين محبوب ممر) % .

والآية تشمل الجميع ، فكل الأقوال حق والمقسم عليه في هذه الآية هو قوله تعالى {
إِنَّ زَكَرِيَّا إِذْ نَفَىٰ قَوْلَ مَٰرْيَمَ خُتْلَافٍ} أي إنكم أيها الكفار لفي قول مختلف في شأن النبي
صلى الله عليه وسلم وشأن القرآن ، لأن بعضهم يقول : هو شعر ، وبعضهم يقول : سحر ، وبعضهم
يقول : كهانة ، وبعضهم يقول : أساطير الأولين ، وقول من قال في قول مختلف أي لأن بعضهم
مصدق ، وبعضهم مكذب خلاف التحقيق . .

ويدل على أن الاختلاف إنما هو بين المكذبين دون المصدقين . قوله تعالى في ق { بَلْ
كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كَذِبًا } لَمْ يَأْتِ جَاءَهُمْ فَهَمْ فِي أَمْرٍ مَّارِيٍّ { أي مختلط . وقال
بعضهم : مختلف ، والمعنى واحد . .

وقوله تعالى : { يُوَفِّكُ عَذْهَ مَنْ أُوَفِّكَ } أظهر الأقوال فيه عندي ولا ينبغي العدول
عنه في نظري ، أن لفظة عن في الآية سببية كقوله تعالى : { وَمَا زَحْنُ
بِتَارِكِيهِ هَتَدَا عَنْ قَوْلِكَ } أي بسبب قولك ، ومن أجله ، والضمير المجرور بعن
راجع إلى القول المختلف ، والمعنى يؤفك أي يصرف عن الإيمان بالله ورسوله عنه ، أي عن ذلك
القول المختلف أي بسببه من أفك أي من سبقت له الشقاوة في الأزل ، فحرم الهدى وأفك عنه ،
لأن هذا القول المختلف يكذب يعضه بعضاً ويناقضه . .

ومن أوضح الأدلة على كذب القول وبطلانه اختلافه وتناقضه كما لا يخفى ، فهذا القول المختلف
الذي يحاول كفار مكة أن يصدوا به الناس عن الإسلام ، الذي يقول فيه بعضهم : إن الرسول
ساحر ، وبعضهم يقول شاعر ، وبعضهم يقول : كذاب . طاهر البطلان لتناقضه وتكذيب بعضه لبعض
، فلا يصرف عن الإسلام بسببه إلا من صرف ، أي صرفه الله عن الحق لشقاوته في الأزل فمن لم يكتب
عليه في سابق علم الله الشقاوة والكفر لا يصرفه عن الحق قول طاهر الكذب والبطلان لتناقضه . .

وهذا المعنى جاء موضحاً في غير هذا الموضع كقوله تعالى : { فَإِنَّ زَكَرِيَّا إِذْ نَفَىٰ قَوْلَ مَٰرْيَمَ
تَعْبُدُونَ مَا آتَيْنَاهُمْ عَلَٰيهِمْ يَفْخَاحِينَ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِحٌ } .